

من يموت فجأة؟

للدكتور فيب اندي بركات

ذاك سؤال يُلقى على الطبيب مراراً فيجيب عليه مستنداً الى مبادئ علمية وضعها الطب واثبتها الاختبار . وربما فحص الطبيب شخصاً اقبل عليه فيحكم بموته فجأة لاختلال براه في تركيب اعضائه او فساد في عنصره . فالطبيب اذاً عالمٌ يستقبل الانسان بل هو علمٌ بماضيه وحاضره . ألا ترى ان الحكومة تكلفه بتحقيق سبب الموت فتعرض على نظره جثة الميت ليحكم في علّة مفارقتة الحياة . أما معرفته بالعلل الحاضرة فذلك امرٌ مقررٌ لا يختلف فيه اثنان . ولم اذكر توطئتي هذه عن كبر او غطرسة تكوّنني طبيباً حاشاً وكلاً ولا يخفى عليّ ان القراء يطالبون منّا معاشر الاطباء . معارف عظيمة دقيقة تسترق من العمر اطوله ومن العناء والاجتهاد اشده واقواه . ولذا ألتس من المطالع المندرة واراني احقّ بها من سواي وما كمال العلم الا الله فانه وحده الموفق الى الصواب

يطلق في الطب اسم الموت الفجائي على الحوادث التي يأتي فيها الموت بسرعة اي بجمدة بعض ثوانٍ او ساعات وايضاً بجمدة ايام لكن بحدوثه غير منتظرة فيضرب شخصاً كان معافى او لم يكن فيه اتعاج مهم بالصحة او بالحري يضرب شخصاً يظهر لغيره بانه متمتع بالعافية

وقبل ان نذكر اسباب الموت الفجائي علينا ان نعلم ان بعض الناس اشدّ تمرّخاً من سواهم اليه مثل الكيّرين والسنين والحديثين في السن

١ الموت الفجائي في الكيّرين والسنين والاحداث

انه لامر معلوم ان الامراض الحادة في الكيّرين تقع طريقاً خداعاً فان عللاً عظيمة خطيرة اذا اصاب فيهم عضواً لا تؤثر في سائر الجسم اعني ان المرض يسري فيهم بشكل لطيف الظاهر فلا يطلع على سوء عيابه الطبيب الجاهل . وقد رأينا مراراً اشخاصاً مصابين بامراض حادة ماتوا فجأة في الطريق بينما هم ذاهبون للشغل او التتره واليك مثلاً حديث المهدي

قضى رجلٌ عمرهٗ اربعون سنةً سحابةً يومهٗ يشرب المسكر ثم تنازع آخر النهار مع صاحب الخانة تضاربا فقادهُ الشرط للسجن لانهُ سكران ولما كان الند وجدوه ميتاً فظنَّت الحكومة أَنه متأثرٌ من الضرب فامرت بتشريحيه فتمتحت ان الذي امانهٗ هو التهاب الرئة الصيدي الناتج عن السكر

وقد ذكر بعض الاطباء، حادثةً جرت لاحد رجال الشرطة وُجد ميتاً بعد ان قضى ليلته شرباً وسكراً مع رفاق لهٗ. وكان يزعم ان ملازمة الحمر تحمف عنه وجماً فيه وعند تشريح الجثة وجد الطيب فيها التهاباً في الكبد وجهنق البطن سببُ الافراط في الشرب ويموت اكثر المسنين فجأةً لأن اعراض الامراض الحادة فيهم كأمرضها غير المؤلمة في الكبارين. والعلاآت التي تكون في غيرهم ثقيلة قوية تراها فيهم خفيفة ضئيلة. مثلاً اذا اصابهم التهاب في الرئة لا يشعرون كغيرهم بنحس شديد في الحاصرة ولا بفسر تنفس كبير ولا بعمال متواصل كما نشاهد ذلك في الشبان. واعلم ان المسنين لا يتورن على مقاومة الأمراض مثل الشبان لسبب تقدمهم في السن وضعف اعضائهم فيسوتون من التهاب رئةٍ او التهاب دماغ او من اختلال في الدرة الدموية. وكثيراً ما حدث الموت الفجائي في المسنين عند بنائهم على اهلهم. وقد وُجد في حوادث كثيرة، وتى في بيوت الخلاعة عند المومسات. وكانت للحكومة نظنٌ بوقوع جريمة قتل فتخطر الى ان تأمر بتشريحيهم فلم يجد المشرحون سبباً لموتهم غير التقدم في السن الذي يورث الضعف في اعضاء الحياة الرئسية. وقد احصى احد الاطباء ٣٥ حادثة كان فيها الموت فجائياً في اشخاص اولى عمرهم على الستين سنة

اماً الموت الفجائي في المحدثين بالسن فأنه ناتج عن آخر درجة مرض سرى في جسمهم بنظام لكنه لم يُعرف لأن امراض الصغار يصعب تشخيصها لسببين الأول عدم احتساء بعض الوالدين باولادهم والثاني لان الطيب لا يفهم غالباً من الصغار الا الصراخ فيوتون فجأةً بعد التهاب رئة او تلة صدرية خانقة وهي امراض شائعة في الاطفال تصبح ثقيلة باوجز الارقاآت. ويحدث فيهم الموت بقتة اذا استفرقوا مرادً من الجاري الهوائية وربما كان سبب الموت الفجائي فيهم تشنج الزمار لكنه لا يتسل غالباً من اول نوبة بل بعد نوبات تصيبهم دون ان يُنبه اليها وكم من مرة مات الطفل تامناً في سريره مع والديه او مرضته اذا انقلت طيه وخنقه خنقاً

٢ اسباب الموت الفجائي

اسبابٌ متعددةٌ نذكر أهمها ونسردهُ بترتيبٍ ليهل على الذّاكرة حفظها:

١ الاسباب الناتجة عن المهاز التنفسي الدموي

١ (انسداد المجاري الهوائية) . يحصل هذا الانسداد عن لقمة طعام دخلت في العنبرة او في قصبّة الرئة او وقتت في المريء . وضغطتُ بسبب كبرها على قصبّة الرئة . وقد شاهدنا حوادث عديدة مثل هذه . وعائناً مؤخرّاً ولداً ميتاً عمره ثلاث سنوات كان فمه وحلقومهُ مملوئين بقطع خبز غير تامّة المضغ - ويدخل الطعام ايضاً في المجاري الهوائية بعد الاستفراغ فيحدث الموت بالاختناق فجأةً

٢ (احتقان الرئة) . ترى في التعديلات وروود هذا السبب أكثر من غيره بيد انه لا يظهر الاحتقان المذكور بنوع جليّ ليعال هو وحده الموت السريع ما لم يكن في الرئة تدنُّنٌ او في القلب مرضٌ او جاء الاحتقان بعد سبب قوي يرسم التشخيص

٣ (التزيف الدموي الرئوي) . ربما كانت اسباب الاحتقان هي ذات اسباب التزيف وعلينا ان نذكر خصوصاً التزيف الدموي الذي يحصل في الادوار الاولى من التدنن الذي يكون بعض الاحيان غزيراً فيسبب الموت فجأةً

٤ (انفلات جلطة الشريان الرئوي) . يظهر هذا الانفلات غالباً بعد التهاب او تمدد اوردة الاطراف السفلى او اوردة بيت الرحم . فالجلطة المتكوّنة في تلك الاوردة تنقلب من نفسها بعد حركة عنيفة . وقد شاهدت وانا تلميذ في بيروت فتاة مئة من انفلات جلطة رئوية مصدرها من اوردة الحوض الصغير

٥ (التهلة الصدرية الحائقة) . هي عبارة عن تكوين كنية كبيرة من الحائط السائل الزويد يلا المجاري الهوائية ويحدث الموت فجأةً في الاطفال خصوصاً وبعض الاحيان في المستين

٦ (انقطاع الحجاب الحاجز) . ينقطع الحجاب المذكور بعد حركة عنيفة جداً ويحدث الموت الفجائي بسرمة كلية لأن بعض اعضاء البطن تدخل بشدة في القفص الصدري وتسبب الاختناق العاجل

٧ (التشيان) . يحدث الموت الفجائي بالتشيان مراراً على اني لا اظن انهُ يطراً على

شخص كامل الصحة بل محل في الاشخاص الصائين بحالة مرضية سابقة وخصوصاً بعمق في الجهاز الدموي. واعلم ان امراض القلب والأوعية الدموية الكبيرة كثيراً ما تسبب موتاً فجائياً سريعاً جداً يحدث عادةً بعد حركة عنيفة او انفعال نفسي عظيم. وأنا تذكر بين العلل المذكورة أنورسما الاورط وتصلب جدران الاوعية وحول القلب الدهني والتهاب بطانة القلب والتحامها به - وقد شرح طبيب جنة امرأة عمرها ٥٠ سنة ماتت فجأة في الليل بعد مشاجرة مع زوجها فظن الجيران أنها اختنقت لأنهم سمعوا تصرخ « آه اختنقت وخنقتي » والحال لم يكن على الجثة آثار قهرية بل وجد بالشریح التهام كامل بين رقتي غلاف القلب وقد علم أيضاً ان المرأة المذكورة كانت تعاب بتوبات عسر نفس والمشاجرة كانت القاضية في تعجيل الموت الفجائي

١٨ (عدم كفاءة الاورط) هو سبب متواتر للموت الفجائي وكذلك علل العيانات

القلبية

١٩ (انقطاع أنورسما الاورط) . يسبب الموت الفجائي لكن تشخيص هذا المرض وقت الحياة من الامور النادرة

٢٠ الاسباب الناجمة عن الجهاز العصبي

١ (الفتق الدموي الدماغى) . هو من اسباب الموت الفجائي فان اصفرار الدماغ وعدم وجود دم بين الأوعية الصغيرة ووجود كمية كبيرة مصلية منه في البطينات هي حوادث ذكرها الاطباء . مراراً . ولا يستغرب ابداً حدوث الموت الفجائي من قتر دموي دماغى بعد انفعال نفسي . واليك حادثة نشرها احد الاطباء الايطاليان : تشاجر اخ مع اخيه الاكبر فضربه على صدره وقد ضغط الاثنان على صدريهما الى ان فرقتهما بعض الاصحاب . فابتدأ الصغير يسعل ثم وقع على الارض رتقاً ومات . ولم يوجد فيه آثار قهرية خارجية مطلقاً وإنما شاهد الطبيب تصلباً قوياً في اغشية الدماغ وقراً دموياً دماغياً واضحاً جداً . وقد نسب الطبيب سبب الموت الى ذلك الفتق الدموي الذي لم يحصل من الضرب لكن من الغضب السخوذ على المقتول وقد ظهرت علاماته على قول الحاضرين باصفراد فجائى عظيم لاح في وجهه

٢ (اختلال الدورة الدماغية الدموية) . واسبابها احتمالة جلطية وتصلب في الاوعية

الدموية يحدث منها الموت فجأة دون ان تسبقه اعراض تنبئ به

٣ (الاحتقان الدماغى) - يذكر بين الاسباب المتواترة التي عنها ينتج الموت الفجائى مثل داء النعطة والامراض التشنجية والاحتقانات التي تحدث بعض الاحيان في بدو الفالج العموي ولو لم يسبقه علة اخرى

٤ (التزيف الدموي الدماغى) - يسهل على الطبيب معرفة سبب هذا الصنف من الميتات الفجائية بواسطة التشريح وبيان حالته واضع اعني ان الموت فيه دائماً طيبى . واليك مثلاً مهبأ عن ذلك ذكره احد الاطباء . الشرعيين . كانت ابنة عاهرة عمرها ٢٢ سنة تصاب من زمن مديد بوجع رأس ونوبات عسر تنفس واستفراغ وقد تركت مشرقوها مدة يومين ثم عادت اليه وزاد المرض فيها . فدخلت المستشفى وهي مع ذلك مصرة على كتمان سرها غير أنه كان يجيبها بناس خفيف يكتها من الجواب على اسئلتنا ولم يكن فيها فالح نصفي او عموي . فلما توفيت ظننا انها ماتت من رضة دماغية لكن التشريح اعان تصلباً في الكلتيين وتجمعا دموياً في نصف الدماغ الايمن وتريفاً غزيراً حدث منذ ٦ او ٨ أيام على الاقل قبل الموت

٥ (التزيف الدموي في الاعشية الدماغية) - يحدث في آخر درجة التهاب اغشية الدماغ وهو كثير في السكرين فيوتون فجأة من ذلك السبب . ويحدث التزيف الدموي بعد وقعة او ضربة على الرأس وبعد تهيج نفسي عظيم . واعلم ان السكر اذا غضب غضباً شديداً ربما تعجل او سهل حدوث التزيف الدموي الدماغى ومات فجأة بسببه

٦ (اردم الدماغ وخزاجاته) - ان الاردم والخزاجات المذكورة لا تبقي في الجسم غالباً الا اختلالاً ضعيفاً وتدع ظاهره سليماً وهي تقتل مع ذلك فجأة

٧ (التهاب الاعشية الدماغية) - لا يجب ان تشرب ذكر التهاب الأغشية اندماغية بين اسباب الموت الفجائى . واليك مثلاً نشره الاستاذ براردل الشهير . ان امرأة عمرها ٣٠ سنة اصطحبت رجلاً في نصف الليل وذهبت معه لتستأجر بيتاً وصباح التمد ذهب الرجل وبعد ظهر اليوم نفسه وجد خادم القتل تلك المرأة قائمة على فراشها لا حراك بها فجاء البوليس مع طبيب وقدر ان المرأة مسمومة بدواه مخدر وشاهد ايضاً رنجات على احد ذراعيها . فحملت الى المستشفى حيث ماتت بعد ٣٦ ساعة دون ان تنبى ابدأ وقد كانوا يشريحها فوجدنا التهاباً دماغياً مع كمية كبيرة من الصديد دون تدون اما الرنجات التي وجدت على الذراع فكانت عرضية

٨ (الضربات على الرأس) - تجاب بعض الاحيان موتاً سريعاً فجائياً غير أنه يمكن احتمالها دون ارتعاج مدة أيام او اسابيع كثيرة . وامثال ذلك غير نادرة فأتانا قد شاهدناها مراراً وتحققناها بذاتنا فمن ذلك ان ولداً عمره ١٢ سنة وقع فاصابه بوجع في رأسه وضد جرحه بقطعة مشع وبتى الولد يلزم المدرسة مدة ١٦ يوماً بيد أنه كان يتشكى من وجع رأس مؤلم . ثم مات باثر ذلك فوجدنا بالشرج تحت جلد الرأس من جهة الاذن اليسرى كسراً في الجمجمة عمقه سنتيمتر ونصف وقشرة الدماغ هناك مصابة قليلاً . أما الدماغ فكان معاباً بالتهاب صيدي - وقد اطلعنا على حادث آخر وهو ان راعياً قوي البنية ضرب بجديدة بين عينيه وبعد الحصام عاد الى شغل وبتى فيه طول النهار . فينا كان صاح الند يسوق ثيرانه الى مكان اذ وقع فجأة رما بعد دقائق قليلة . وفي تشريحه وجد التهاب دماغي صيدي - وهذه حادثة تالفة حديثة . ضرب شاب بكئين فوق اذنه اليسرى فنظره طيب وقرّر ان الجرح يئمه عن الشغل مدة عشرة أيام ولكن ما مضى عليه خمسة أيام حتى دخل المستشفى وغاب عن رشده . واصابه نصف فالج يميني ومات بعد ثلاثة ايام من جراء التهاب دماغي وربما حدث الالتهاب المذكور متأخراً . وكمن مرّة بقيت اجسام غريبة كالرصاص وغيره في الدماغ مدة اشهر وستين دون ارتعاج المصاب بها ولكنه ما لبث ان حبل منها بعد مدة موت فجائي سببه التهاب الدماغ

٣ الاسباب الناجمة عن امراض الجهاز الهضمي

١ (قرحة المعدة) - ربما أحدثت استفراغاً دموياً مميئاً او التهاب الصفاق دون ان يسببها اعراض اختلال حتمي فيبتي المرض غامضاً ولا يظهر الألبورت وقد جمع احد الاطباء عشرين حادثة من هذا النوع

٢ (ثقب الامعاء) - يحدث ذلك في بعض الاحيان مع وجود الحمى التيفوسية او بعد الشفاء منها . ولذلك يحذّر الاطباء المصابين بالحمى المذكورة من اكل الطعام اليابس الضخم مخافة هذه المتبى الوحيدة اعني الموت فجأة بسبب ثقب الامعاء .

٣ (امراض الكليتين) . ان التهاب الكليتين يجلب نادراً موتاً فجائياً . وربما بقيت في بعض اشكال هذا الالتهاب الاعراض خفيفة بالظاهر ثم تقوى فجأة وتقتل بسرعة . ويمكن نسبة هذه العوارض الى مرض جديد يختلط بالمرض الاصلي مثل تريف دمري دماغي سببه التسمم بالبول او بالكحول او بالسكر ولتحقيق اسباب الموت المذكور لا بد

من فحص البول كيميائياً ليرى الطبيب أوجد فيه مادة زلالية أو سكرية
 (التسمم بأوكسيد الكربون) هو سبب متواتر للموت الفجائي خصوصاً في
 بلادنا أيام الشتاء. لأن عادة بعض الاهالي وضع موقد النار في الخدع والنوم في ذلك
 المكان. والتسمم المذكور يحصل عادة في الليل والمصاب لا يفتيق من نومه فيشاهد عند
 الصباح ميتاً في فراشه. وربما استفاق من نومه مذعوراً قلقاً ولا يتمكن من طلب الاستغاثة
 او فتح المنافذ فيسقط ميتاً. ويمكن حصول الموت فجأة بالغاز المذكور دون ان يوجد في
 الخدع موقد النار مثلاً اذا رجعت حاصلات الاحتراق فنفذت الى الحجرة آتية من مخادع
 مجاورة او تخرج الغازات من ثقب او شق صغير غير محكم السد موجود مثلاً في قسطل
 الدخان على جدران الخدع. وقد شاهد بعض الاطباء حادثاً غريباً من هذا الشكل
 وهو انه وجد ذات يوم رجلاً ميتاً في مخدعه وتمتحن انه مسمم بأوكسيد الكربون لان
 شبكه مخدعه كان قريباً جداً من طرف جمة قساطل مفتوحة. والغازات التي كانت تخرج
 منها امتدت في مخدعه الصغير داخلاً من شبكه الفتوح وحين رجوع الرجل المذكور ماء
 أقل شبكه قبل نومه وبقيت فيه الغازات المسمة فبات

وكم من مرة سمعنا يموت بعض الفقراء الذين ناموا فوق افران الكلس أيام الشتاء. قصد
 التدفئة فتمسموا بأوكسيد الكربون والتسمم به يحصل في مخدع ليس له منافذ مثلاً حين
 ينكسر قسطل في الطريق فكثيراً ما يمر الغاز في الارض خدراً في الشتاء على مسافة
 طويلة ثم يتدد في المخادع المبنية في الطوابق السفلى ومتى تشربت الارض الغاز المذكور
 تُفقدته رائحته الحصرية. وهذا يحدث غالباً حين يبقى الجليد على الارض اذ لا يتسكن
 الغاز من الطيران رأساً من الطريق. والحرارة المرتفعة في محلات السكن تسهل له الدخول
 فيها - اما العلات التي تمتن الموت الفجائي بواسطة اوكسيد الكربون فيمرنها الطبيب
 من فحص الدم بالكواشف الكيمية وباستعمال المجره الطيفي فلا حاجة لتبيانها هنا

الملاحظة

ذكرت اسباباً كثيراً للموت الفجائي ولكن رب ظروفي يحصل فيها ذلك الموت ولا
 يرى له الطبيب شرحاً ولا سبباً ولو فحص شخصاً مدقماً كل اعضاء الميت لان جمة سموم
 نباتية تمتل دون ان يبقى لقلها من اثر في الاضاء فيضطر الطبيب الى ان يقر بعجزه.
 وما كمال العلم الا لله وهو رحمة الخي الذي لا يموت